مقدمـــة

عند الاطِّلاع على العنوان الذي يحمله هذا الكتاب "**إشـراقات الأمل في دياجي الحزن والأسـى**" سَنُدْرِكُ لِأَوَّلِ وهلةٍ أنَّ هذا الكتاب يحملُ في طيَّاتِهِ ملخَّصًا لجميـع المتطلَّبات القلبيّة والفكريّة والعاطفيّة التي يحتاجها العالم الإسلامي بشدّة في هذه الأوقات العصيبة التي يمرّ بها.

بـل يمكن القول إن إنسـان اليـوم يتلوَّى في خِضمِّ أزماتٍ أشـدّ عليه ممـا كان فـي عصر الجاهليـة، فأضحى ينخدع بالأكاذيـب، ويهرول وراء الأضواء المزيفة، ويلجأ إلى كلِّ السُّـبُلِ والأنظمةِ لَعَلَّهُ يَجِدُ حلًّا لِأَزَماته، أو كأنـه ينتظـرُ مُنْقِذًا خارِقًا أو عصًا سـحريّة تُخلِّصُه ممّا حلَّ به، لكنَّ هذا السلوكَ عمَّقَ من شَرْخِ الأزمات.

وإن تسـمية هذا الكتاب الذي بين أيدينا بـ"**إشـراقات الأمل في دياجي الحـزن والأسـى**" وليـس "أيام الحزن والأسـى" فحسـب لَيَعكـس العالم الفكـري لفضيلة الأسـتاذ فتح الله كولن، ويُجسِّـدُ نظرَتَـه الإيجابيّة إلى ما حوله حتى في أَحْلَكِ الظُّروفِ ومَلْقَى الحُتُوفِ.

obeikandl.com

أجـل، إن الأسـتاذ كولن قـد دَأَبَ فـي جميـع مقالاته ودروسـه على اتّبـاع أسـلوب قرآني مُعَيّن؛ إذ إنه لا يكتفي بتشـخيصِ الـداءِ فقط، بل إنّه في الوقت ذاته يصِفُ الدواءَ الناجـع، ويبين نوعية التضخُّمِ السلبيّ الناتجِ عن عدمِ الأَخْذِ بهذهِ الحلول، وقدرَ الجماليّاتِ التي يُمْكِنُ أن تُضفى علينا نتيجةَ التداوي بِتِيكَ العقاقير الروحيّة.

وما كتبه الأستاذ كولن من مقالات نحو: "الفوضى، الابتلاء، الأمل"، "الفوضى، والعالم السحري للإيمان"، "نور في خضم الفوضى"، "الفوضى، والآمال اليانعة" لَيُؤَيِّدُ كثيرًا من الأفكار التي عرضناها آنفًا.

وإنَّ مِـن كَلِماتِـهِ الرقراقةِ التي جادت بها قريحتُهُ فـي خِتامِ حديثِهِ في درس له سُجِّل ونُشر في موقـع *(herkul.org)* بعنوان "الحال والأمل" قولُهُ:

> "إن كلّي أملٌ بإذن الله وعنايته في أنكم ستتمسكون بالدساتير الماسـيّة للقرآن الكريم والقيم الإنسـانية العالميـة، وتتقدمون إلى الأمام على الدوام، تحدوكم نسماتُ الأمل في فتح قلوب الناس، وتتمكنّون بإذن الله وعنايته من التغلُّبِ على حُسّادِكم في الداخلِ، وتَجَاوُزِ المصائبِ والنكبات المحتَمَلة في الخارج"[١].

وكتـاب "**إشـراقات الأمل فـي دياجي الحزن والأسـى**" يندرج ضمن سلسلة "الجرة المشروخة" التي تحتوي على دروسٍ متنوعة ألقاها الأستاذ كولن في السـنوات الأخيرة، وهذا الكتاب يرشـد الأذهانَ إلى آفاقٍ عالية، ويعـزفُ علـى الوتَرِ الحسَّـاسِ ويُلامسُ شـغاف القلـوبِ بطرحِـهِ الفريدِ لموضوعـات شـتى؛ بدءًا من تفسـيرٍ لبعـض الآيات القرآنيـة حتى تحليل وشـرح بعـض الأحاديث النبويّة، ومن الحياة الروحيـة والقلبية إلى الحياة الأسرية، ومنها إلى الحياة الاجتماعية، ومن الموقف الذي لا بدّ أن نتخذه

(١) *(/http://www.herkul.org/bamteli/bamteli-hal-ve-umit)*

عنـد مواجهة الصعوبات التي تعترضنا في حياة الخدمة حتى قضايا التربية والتعليـم، ومـن الدعاء الذي لا تكتنفه الغفلة إلى الإخلاص الذي هو لبُّ العمـلِ، ومـن ذلك كلِّـهِ إلى العلاقةِ بيـن الإخلاص والجهـادِ، والموقف الإيمانـيّ إزاء شـبكاتِ النفـاقِ التـي تجيشُ قلوبُهـا حقدًا وحَسَـدًا، ومن الأزمات والآلام إلى الآمال التي علينا أن نتحلّى بها.

ونـرى أنـه من المناسـب هنا أن نشـارككم بعـضَ الموضوعات التي جاءت بهذا الكتاب علّها تُسَلِّطُ الضوءَ على مجملِ ما جاء فيهِ من أفكار.

فعلـى سـبيل المثال يوصينا الأسـتاذ فتح الله كولـن بابتغاء مرضاة الله تعالى التي هي أعظم إحسـانٍ من الله تعالى على عباده، فيقول في المقال المعنون بـ"نحو أفق الرضا":

> "لما كان الرضا نعمةً أكبر بكثيرٍ من الجنّة ونعيمِها؛ وجب أن نرفـع أيدينا إلى الله، ونضرع إليه بالدعاء دائمًا قائلين: "اللهم بلّغنا أفق الرضا". أجل، علينا أن تكون أنفاسـنا قائمة على "اللّهُمَّ اهْدِنَا إِلَـى مَا تُحِـبُّ وَتَرْضَى"، ونستشـعر دائمًا "اللّهُمَّ عَفْـوَكَ وَعَافِيَتَكَ وَرِضَاكَ"؛ لأن الله تعالى وعد بأنَّه سـيمُنّ على الإنسـان بما يطلبه بصدقٍ وإخلاصٍ، لكن لا بدّ من الإلحاح في الطَّلَبِ؛ لأن استجابة الدعاء قد تتأخر بضـع سنين أو عقودًا".

ثـم يشـير إلى الموقف الـذي علينا أن نتخـذه إزاء المنافقين بقوله في المقال المعنون بـ"الموقف الإيماني من شبكات النفاق الحاقدة":

> "إنّ الآلامَ المسـتعصيةَ، والخرابـاتِ الداثـرةَ ينبغـي ألا تُولِّد اليأس في روح الإنسـان، وألا تُصيبه بالذُعر، غير أنّ هذا لا يعني أنْ نغـضّ الطرف عن الدمار والتخريب الحادث، بل على العكس علينـا مشـاهدةُ هذا التخريـب والدمار المـروّع، لأن رؤيتـه تُذكّر

الإنسان بمسؤوليّاته وواجباته، وبهذه الطريقة فإنّ ذا الفِكرةِ المثاليّة والإحساسِ المرهَفِ السليم سيفكر ويتدبّر فيما يطلبه الله تعالى من عباده الصادقين تجاه هذا المشهد، ويُركّز على ما يجب القيام به من أمور قائلًا: "تُرى لو أن نبيًّا واجهَ مثل هذا المشهد ماذا عساه أن يفعل، وكيف كان سيتصدّى له؟".

وفي مقال "دعاءٌ جامعٌ لسيدنا رسول الله ﷺ" يضع الكاتب يده على مشكلةٍ اجتماعيةٍ خطيرة، فيقول:

"كما أن بعضَ الحكّام الذين جاؤوا من بعدُ عجزوا عن الحفاظ على العدالة التي سادت في عهد الخلفاء الراشدين ولجؤوا إلى سبيل المحاباة؛ فكانوا -على سبيل المثال- إذا ما أرادوا إرسال أحدٍ حاكمًا أو واليًا على مكان ما أو قاسمًا للغنائم اختاروه من بين أقاربهم، بينما لم يُحابِ أيُّ واحدٍ من الخلفاءِ الراشدينَ ﷺ قريبًا ولا نسيبًا، ولم يَميزُوا القريبَ من البعيدِ، ولم يُجاملوا أحدًا أبدًا؛ لأن الأمةَ التي تُوسّد الأمانةَ لِغَيرِ أَهلِها، وتَعهَدُ بمسؤوليّاتها إلى الأقاربِ دون غيرهم أمّةٌ قد انتهى أمرُها، فكبّر عليها أربعًا".

وما أروعَ أن ننهي هذه الاقتباسات من الكتاب بقول الأستاذ كولن في مقال "الجدارة والاستحقاق":

"مع الأسف يظهر في كل عهدٍ مَن ينزعج ويتضجّر مِن نشر الاسم المحمديّ الجليل على صاحبِهِ أفضل الصلاة وأتم السلام، ولكن القلوبَ التي وهَبَتْ نفسَها لِخِدْمَةِ الإيمان والقرآن لا تأبَهُ -وهي تؤدّي وظائفها- بهذا اللّوم الجائرِ من هؤلاء، ولا تخشى تهديداتهم، ولا تستنكف عن طريقها، بل تسير دائمًا في طريق الحقّ حذِرَةً كيما تتعثَّر بالعوائق التي تعترضها".

وأخيـرًا نـرى من الأفضل أن نتطرق إلى مسـألة مهمة لها علاقة كبيرة بموضوعنا ألا وهي أنّ قيمةَ المرشِدِ الحقّ إلى الصراط المستقيم وحاجتَنا إلى إرشادِهِ وتوجيهاتِهِ تتبدَّى وتزدادُ أكثر في ساعةِ العسرةِ وأيّام الأزمات وليالـي المحـن والاضطرابات، ومـع هـذا فبدهيٌّ أنه لا يتمكّـنُ الجميـعُ من الاسـتفادةِ من هذه الإرشـاداتِ، ولا ينعم بها إلا الذين هيّؤوا أنفسَهم وقلوبهم لتلقّيها.

وفـي هـذا الصدد نتقدم بخالصِ الشُّـكْرِ والتقديرِ إلى فضيلةِ الأسـتاذِ فتـح الله كولـن على إرشـاداتِهِ وتوجيهاتِهِ، وندعو الله تعالـى أن يُتمَّ نعمَتَه عليه بالصحة والعافية ولا يحرمنا من مؤلَّفَاتِهِ وإرشاداته وتوجيهاتِهِ.

والله أعلم بالصواب.

أكتوبر/تشرين الأول (٢٠١٥م)
دار النيل للنشر والتوزيع

openkandil.com